

الفصل الأول

obeikandi.com

الشهادة

أ - مفتاح الدخول في الإسلام وأول دعوته :

أن يشهد العبد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فلا معبود بحق إلا الله ، ينفي الشرك ويوحد إلهاً له الخلق والأمر ، وينفي الظلم في الصاحبة والولد إذ العدل المنافي للشرك وإذ العزة المنافية للعجز وإذ الحكمة المنافية للجهل والطيش .

يشهد للمعبود الحق الواحد سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى وصفاته الفضلى وأفعاله الكاملة ، المنزه عن العيوب والنقائص كما شهد لنفسه وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٨] ، حيث تضمنت شهادته تعالى لنفسه : علمه ، تكلمه ، إعلانه وإخبار غيره .

ب - أما السلوك الواجب التزامه لمن شهد بالحق والذي من مقتضيات هذه الشهادة : هو المبين بالشرع ، الذي جاء به الرسول ﷺ الذي نشهد له بالرسالة وكما بين بالأقوال والأفعال عن ربه الكريم .

ج - أما تبعات هذه الشهادة ومقتضيات الاتباع وهو ما يحصل عليه العبد بالاتباع وما يفوته من أمور إذا قصر عن ذلك .

فقد بين ذلك رسول الله ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه ، قال له رسول الله ﷺ : «يا معاذ ، أتدري ما حق الله على عباده؟» قال : الله ورسوله أعلم (كررها ثلاثاً) فقال : «حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» ، ثم قال ﷺ : «يا معاذ ، أتدري ما حق العباد على الله إذا عبدوه؟»

قال: الله ورسوله أعلم (كررها ثلاثاً) قال ﷺ: «حق العباد على الله إن هم عبدوه أن لا يعذبهم».

- ويصل العبد لمعرفة المعبود واجد الوجود الذي يشهد له بالكمال والبعد عن النقائص والعيوب:

الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله خالق الخلق على غير مثال سابق ،
العزیز الحكيم البارئ للأكوان المصور للصور الخارجية ، خلق وقدر ،
عزیز لا يُنال جانبه ، لا إله غيره ، لا شريك له ، ليس قبله شيء ولا بعده
شيء ولا معه غيره ، ليس له ولد ولم يولد ولا صاحبة له ، السَّتَّار يستر
القيح ويخفيه ، يحلم من غير ضعف ، المعطي من غير مسألة ، لا يضيع
من يلوذ به ، يعاقب من غير حقد ، لا يتقصى العيوب ، يغفر ويمحو
الذنوب . ب:

١ - الاستدلال بآيات الأنبياء التي أيد بها رسله فما من نبي ورسول إلا
ومعه أكثر من آية.

٢ - الاستدلال بآيات الكتاب (أقواله) إذ كل من قرأ كتاب الله (القرآن)
صار له علمٌ بأنه من عند الله .

٣ - الاستدلال بما أودع في فطرة الإنسان من تعلق بأسمائه وصفاته
واللجوء إليه كلما وقع في شر .

٤ - الاستدلال بآيات الكون والآيات التكوينية في تدبير أمور خلقه
وترابطها وفي تسخيرها للإنسان .

٥ - الاستدلال بمخلوقات الله وأفعاله؛ لتأييد المؤمنين وأهل طاعته ،
وخذلان الكافرين وأهل معصيته .

٦ - الاستدلال بالأدلة العقلية: مما أبقاه الله من آثار عقوبات أهل
الشرك وما حل بديارهم ﴿وَإِنَّكُمْ لَسَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ۚ وَبَالِيلٌ﴾ [الصافات: ١٣٧]
- [١٣٨] ، وما أبقاه من آثار نصرة أهل الحق وإعزازهم وكيف جعل العقابة
لهم ﴿وَأَوْزَكْتُمْ أَرْضَهُمْ وَدِينَهُمْ ۚ﴾ [الأحزاب: ٢٧] .

وما على العبد ليصل لرضاه تعالى إلا التزام شرعه الذي أرسل رسله به . كما جاء في الكتاب (القرآن) وسنة الرسول ﷺ من أقوال وأفعال وإقرار أو نسخ للأعراف . لقوله ﷺ : «تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا . . . كتاب الله وسنتي» . وقوله : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين الهادين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ» .

* * *

ما يجب على المؤمن اعتقاده

الجائز في حقه تعالى العطاء والغنى (خالق أفعال العباد يهدي من يشاء بتوفيقه ويضل الله من يشاء).

وأعمال العباد تنسب للعبد ومخلوقة لله ، والعبد مختار لأعماله له بتوفيق الله النجاة وعليه ما اكتسب من أوزار ، فالأجر فضل من الله ، والعقوبة والجزاء عدل ، فهو تعالى يعمل كل شيء بحكمته وعدله المبنيين على العلم والرحمة والمنافيين للظلم والشر في نظرنا ، ليس هو في خلقه شر «والشر ليس إليك». ونؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره (من جهتنا) من الله.

- قيامه تعالى بالنفس الوجدانية ، منزهة أوصافه عن ضد أو شبه وعن الشريك والندّ والولد ، وعلمه أزلي ، وصفاته التكلم والحياة وهو سميع وبصير وله إرادة قاهرة وصفات للذات.

- سماته وصفاته أزلية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

- ما يجب لله الوجود في الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية.

- مخالفته للأحداث.

- والمكلف عليه: أن يعرف ما يوجب لله ، والجائز والممتنع ، وكذلك للرسل.

- والمقلد في الدين: لا ينجيه تقليده ، والناس: قسم فتح الله عليهم ففهموا وعلموا ، وقسم دخل في الخلافات.

- والإيمان يكون بالتصديق لما يجب معرفته ، وبالنظر إلى آيات الله في

نفس الإنسان وآياته في الكون ، وأن أصل ذلك العدم ، وأن ما جاز عليه العدم يستحيل عليه القدم ؛ ليعرف بعد ذلك الصانع وأسماءه .

- والإيمان بالقول وبالقلب ، والأعمال بالجوارح (العبادات...) ، وهو يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي .

٢ - والنبوة وهيبة لا كسبية ﴿ ذَلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٥٤] ، ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ، وفضل رسول الله ﷺ على الأنبياء والملائكة ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١] .

أيد الأنبياء والرسل بالمعجزات ، ويعصم ربنا من قد كلفه حتى يتم تبليغ دعوته ، والنسخ للشرائع بشرع نبينا ثابت ، وكذلك نسخ بعض الآيات ببعض ، وإعجاز القرآن ، ومعجزات الرسول ﷺ التي رآها الصحابة .

ونؤمن بالإسراء والمعراج وبراءة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وخير الخلفاء كما ولّوا ، وخير القرون قرن رسول الله ﷺ والصحابة ثم التابعين «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» .

- وخير الصحابة الخلفاء الراشدون ، والعشرة المبشرون بالجنة ، وأهل بدر ، وأهل أحد ، وأهل بيعة الرضوان .

- وما حصل فيما اختلفوا فيه لا نخوض فيه ، ولكل وجهة نظره واجتهاده .

- وتقليد الأئمة ليس واجباً لمن تفقه ووصل للاجتihad .

- والدعاء عبادة لا شك فيه ، وينفع فيما نزل من القضاء وما لم ينزل .

- وتلاوة القرآن «ذكر الله» عبادة لها فضل في التقرب إلى الله وشفاء لما في الصدور .

- ونؤمن بالعرش والكرسي والقلم واللوح المحفوظ ، كما نؤمن بحوضه ﷺ ينال شربة منه من أمته الذين وفوا ويؤدّ عنه من بدلوا .

- وشفاعته ﷺ تكون في عدة مواضع: (يوم الحشر ، والحساب ، ولدخول الجنة ، وإخراج البعض من النار).

- والمغفرة من الله لمن يشاء الله من غير أهل الكبائر (الكفرة).

- ولا نكفر مؤمناً بذنب إلا الشرك.

- ومن مات مسلماً ولم يُتَّب من المعاصي فأمره موكولٌ إلى الله إن شاء غفر وإن شاء عذب.

- والشهيد في سبيل الله حيّ يرزق.

- والمُرتد والجاحد للمعلوم من الدين بالضرورة؛ يقتل كفراً بعد استتابته وبأمر الأمير.

- ونصب إمام عادل واجب بالشرع في دولة الإسلام.

- ولا ننزع يداً من طاعة ما «أقيمت بالمسلمين الصلاة. إلا إذا رأينا كفراً بواحاً لنا عليه من الله شاهد».

- ونتبع السلف وننبذ ما ابتدعه الخلف.

- احتجب تعالى عن العقول والإحساس (الحواس) ، وإن ذاته تعالى تعالت عن الإدراك والإحاطة وتنزهت عن المشابهة أو المماثلة ، وإن الملائكة الأعلى يطلبونه كما نطلبه «نحن البشر».

وأقصى ما تدركه العقول من ذاته: أسماؤه الحسنی وصفاته العليا ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤].

- الآيات القرآنية والسنة النبوية تثبت صفات الله تعالى «العلم ، القدرة ، القيومية ، السمع ، البصر ، الإرادة ، المشيئة ، التكلم ، الفوقية ، الإحاطة».

كما تثبت له الحب والكره والرضا ، والغضب والفرح والعجب والضحك ، وله عرش وله كرسي. كما تثبت له السنة صفة للذات (في

ذات الله تعالى) النزول ، العروج إليه ، الغيرة . كما تثبت له تعالى : الوجه (الكريم) ، واليد .

والصحابه الكرام أبرّ هذه الأمة وبهم يتأسى المؤمن ، حملوا سلامة المعتقد لأنهم أمانة الأمة ، كما أن رسول الله ﷺ أمانة لأصحابه ، فقد فهموا الصفات وأخذوها كما جاءت دون نفي أو تعطيل ولا تشبيه ولا تجسيم .

- هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء : وقد أدخل أهل الكلام في أسمائه (القديم) ، وهو ليس من الأسماء الحسنی ؛ لأن (القديم) بلغة العرب ولغة القرآن العربي الذي تقدم على غيره وليس الذي لم يسبقه شيء ، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴾ [يس: ٣٩] ، والعرجون القديم الذي يبقى إلى حين ظهور العرجون التالي .

ولله تعالى الأسماء الحسنی وليس الأسماء الحسنة . فلا يدخل في الأسماء الحسنی والصفات ، وبالقياص لا يجوز اعتبار الجواد السخي منها ، وكذلك القوي لا يقاس عليه الجلد وإن كان متقارباً .

فالأسماء توقيفية ، كما لا يجوز أن يشتق له تعالى اسم من أفعاله التي وردت في الكتاب والسنة (المضلل ، الفاتن ، الماكر ، المستهزئ...) .

ولكن يجوز أن يشتق من الأسماء (المصدر) أو (الفعل) ، فالسميع البصير يشتق منه السمع والبصر ويخبر عنه بالأفعال ، فقد ورد قوله : ﴿ قَدْ سَمِعَ ﴾ [المجادلة: ١] ، وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَوَائِكَ ﴾ [المجادلة: ١] .

- كما أن أفعال الله تعالى صادرة عن أسمائه وصفاته ، بينما أسماء العباد صادرة عن أفعالهم ، فصاحب الأمان يُقال له : أمين ، والذي يسرق يُقال له : سارق .

- إحصاء الأسماء الحسنی : والإحصاء يعني في بعض المعاني الإطاعة ، قال تعالى : ﴿ عَلِمَ أَلَّنْ نَحْضُوهُ ﴾ [المزمل: ٢٠] ، أي : لن تطيقوه ، وفي الحديث : «استقيموا ولن تُحصوا» ، تحصوا تحمّله .

- وتعني الاستقصاء ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم : ٩٤].

- فلا يستحب ذكر الله تعالى مفرداً (الله ، حيّ ، هو... إلخ) إلا مقروناً بصفة ثابتة تدلّ على كماله ، لقوله تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل : ٨] ، أي اذكر اسماً من أسمائه تعالى مع الخضوع له مقروناً بلفظ الربّ جلّ وعلا .

فقد كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه بقوله : «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم» .
وقوله عليه السلام : «أحبّ الكلمات إلى الله : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، لا يضرّك بأيّهنّ بدأت؟» .

- إن حقيقة التوحيد لا تدع مجالاً للتصوّر البشريّ عن ذات الله ولا عن كيفية أفعاله فلا كيف ، وكذلك الأيام عند الله غيب .

- وشهادة أن لا إله إلا الله : أي إفراده جلّ وعلا بالألوهيّة والربوبيّة والقوامة والحاكمية والسلطان ، اعتقاداً في القلب (أو في الضمير) وعبادة في الشعائر ، وشريعة في واقع الحياة (نظام حياة) .

* * *

رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

فالرؤية جائزة للمؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

[القيامة: ٢٢-٢٣].

والرؤية محجوبة عن الكفار لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وموسى الكليم عليه السلام عندما طلبها «الرؤية» في الدنيا قال له ربه: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ لا تطيق الرؤية ولا تستطيع التحمل ، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ لُبُّهُ لِّلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ومن دعاء الرسول ﷺ: «.. وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم من غير ضراء مضرة».

فذات الله تعالى الموصوفة بالوحدانية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وبالفردانية الصمدانية ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُؤَلَدْ [الإخلاص: ٢-٣].

وذاته موصوفة بالعلم ﴿الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣] غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا ، وليس لها حد ولا إحاطة ولا حلول.

تراه العيون في الآخرة ظاهراً في ملكه وقدرته وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ، فدلّهم على نفسه بآياته ، فالقلوب تعيه والعيون لا تدركه ، ينظر إليه المؤمن بالإبصار من غير إحاطة ولا إدراك ولا نهاية. حجاب

النور ، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه البصر من خلقه .
لا تحويه الجهات الستّ ، لا يحيطه شيء من مخلوقاته ، بل هو محيط
بكل شيء وفوقه ، يطلبه المלא الأعلى كما نطلبه .

* * *

الإسراء والمعراج

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِسْرَاءِ: ١﴾ .

نؤمن به ولا نشغل بكيفيته ، وقد أسري بالنبي محمد ﷺ ، وعُرج به بشخصه باليقظة إلى السماء حيث شاء الله من العلا ، وأكرمه الله بما شاء ، وأوحى إليه ما أوحى .

وقد أُسْرِيَ به ﷺ مرة واحدة بعد البعثة ، قبل الهجرة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ركباً على البراق ، صحبه جبريل الأمين عليه السلام ، فنزل بالقدس في المسجد الأقصى ، ثم عُرج به من بيت المقدس إلى سماء الدنيا في تلك الليلة ، فاستفتح له جبريل عليهما السلام ففتح له ، فرأى آدم عليه السلام أبا البشر ، فسلم عليه ورحب به ، ورد عليه السلام وأقر له بالنبوة والرسالة ، ثم عُرج به إلى السماوات ، فاستفتح له في كل سماء ، وسلم على من فيها من الرسل والأنبياء وسلموا عليه وأقروا له بالرسالة والنبوة ، حتى اجتاز السبع الطباق ثم إلى سدره المنتهى ، وكشف له من الحجب ، وولج في النور حتى رأى ربه بقلبه ، يقول تعالى : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ . أو رأى جبريل على صورته مرتين .

والدنو والتدلي في الإسراء فهو من الله تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّكَ ۖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۖ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ .

وأما في سورة النجم فهو جبريل عليه السلام : ﴿أَفْتَمَرُوهٖ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۖ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۖ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۖ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم : ٨-١٧] «الرؤية قلبية» .

* * *